# بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنّا نبحث عن ألفاظ في لغة العامّة ترجع إلى أصلٍ فصيح فليس معنى هذا أنّنا نحرّض على استعمال لغة العامّة ، والذي نتوخّاه من بحثنا إنما هو الرجوع إلى حياة الألفاظ ، كيف تنتقل معاني الألفاظ على مرّ السنين من وجهٍ إلى وجه ، تارةً من وجهٍ خاص إلى وجهٍ عام ، وتارةً من وجهٍ عام إلى وجهٍ خاص ، وحيناً تنقلب معاني الألفاظ رأساً على عقب ، وحيناً تتحوّل من الحقيقة إلى المجاز ، ولو كان عندنا معجم يدوّن تاريخ الألفاظ ، في أيّ عصرٍ ظهر اللفظ الفلاني وفي أيّ عصرٍ انتقل هذا اللفظ من معنى إلى معنى أو مات استعماله ، لو كان عندنا معجم من هذا القبيل لسهلت علينا معرفة حياة الألفاظ ، وإذا كنّا لا نظفر في لغتنا بمثل هذا المعجم فأيّ محذورٍ في البحث عن الألفاظ المستفيضة في لغة العامّة والمقابلة بين معانيها في هذه اللغة وبين معانيها في اللغة الفصيحة .

فلنشرع بعد هذا كلّه في ضرب الأمثال :

تقول العامّة في لغتها : فلان يدجّ دجّاً ، أو فلان يدجّ كلامه ، وهي تريد بذلك أنه يقذف باللفظ دون شيء من المراعاة ، فهو يصرّح تصريحاً بدلاً من أن يعرّض تعريضاً ، فإذا كان فلان يسرق أو يكذب أو ينافق قال له الآخر في وجهه : إنه سارق أو كذّاب أو منافق دون مراعاة أدب الحديث ، فهذا النوع يقال له في لغة العامّة : الدجّ .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلنرجع إلى اللغة ، ماذا نجد في مادّه دجّ ، يقولون : دجّ يدجّ بالكسر دجيجاً دبّ في السير ، ولا حاجة بنا إلى الاستقصاء في معاني هذه المادّة الكثيرة ، والدبّ والدبيب المشي على الهينة ، أي على التؤدة ، يتبيّن لنا أن العامّة حوّلت معنى دجّ من وجهٍ إلى ضده ، فهي إذا قالت : فلان يدجّ فإنها لا تقصد الهينة وإنما تقصد العنف والشدّة ، وقد استغنت عن المصدر : الدجيج ، ولجأت إلى المصدر : الدجّ وإن كان يقال : دجّ البيتُ دجّاً أي وكف .

أفلا نجد شيئاً من اللذّة في مثل هذا البحث ، وفي مثل هذه المعرفة ، أفلا نجد شيئاً من المتعة في الوقوف على حياة الألفاظ وانتقالها من معنى إلى معنى في لغة العامّة ؟

وما يقال في مادّة : دجّ ، يقال في مادّة : جنخ ، نجد في اللغة من معاني جنخ : تحوّل من مكان إلى آخر ، ولكن العامّة لم تستعمل هذا المعنى في لغتها في وجهٍ من الوجوه ، وإنما تريد بالجنخ التأنق في كل شيء ، في الملبوس والمركوب وفي المأكول والمشروب ، إنها تريد التأنق في مذاهب الحياة كلها ، فأيّ صلة للتحوّل من مكان إلى آخر بمثل هذا التأنق والتنعّم ، فالعامّة قد قلبت معنى المادّة في لغتها دون الاهتمام بأصل معناها في اللغة الفصيحة ، وقد يقع مثل هذا القلب في لغة الخاصّة أيضاً ، فإنّا نجد في كتب أدبنا المشهورة ألفاظاً كانت تستعمل في عصر من العصور ولها معنى خاص ، ثم تحوّل هذا المعنى في عصرٍ آخر من وجه إلى وجه ، والشواهد على ذلك غير قليلة ، وقد يُستغنى عنها في مثل هذا المقام حرصاً على الإيجاز .

فلنستمرّ في هذا السبيل .

نجد لمادّة : كبس معاني كثيرة يستغنى عن الاندفاع فيها ، فمن المعاني التي يشترك في استعمالها الخاصّة والعامّة قولهم : كبس داره أي هجم عليه واحتاط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقولهم : السنة الكبيسة وهي التي يُزاد فيها يوم ، وذلك في كل أربع سنين .

وقد استخرجت العامّة من هذه المادّة صورة مجازية فهي تقول : كبسه كبسة قويّة أي ردّ عليه في مجادلة ردّاً عنيفاً أو أهانه إهانة ثقيلة أو عنّفه تعنيفاً بالغاً وغير ذلك من المعاني ، وليس من تباعدٍ شديد بين الصورة العامّية والصورة الفصحى ، نجد في اللغة : كبس البئر والنهر يكبسها بالكسر طمّها بالتراب ، فكأن الذي يكبس الآخر في مجادلة أو إهانة أو تعنيف أو غير ذلك يطمّه بهذه الأمور بدلاً من أن يطمّه بالتراب .

وقد استعملت العامّة هذه المادّة في مقام آخر فهي تقول : كبس الباذنجان أو الخيار أو غير ذلك ، فلم تبعد في هذا الاستعمال عن معنى المادّة الفصيح فالذي يكبس النهر أي يطمّه بالتراب مثل الذي يكبس الباذنجان أو الخيار أي يطمّها بالماء والملح .

فلننتقل إلى مادة ثانية ، إلى مادّة : كدس فاذا تخطّينا معاني هذه المادّة المختلفة ووقفنا على معنى واحدٍ منها وجدنا أنه ليس من تباعد بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي ، نجد في اللغة : الكداس كغراب : ما كُدس من الثلج ، والكداسة بالضم : ما يكدس بعضه فوق بعض ، فالعامّة تستعمل هذه المادة مشدّدة : كدّس ، وهي تستعملها في معنى جمع الأشياء ، فهي تقول مثلاً : الحنطة مكدّسة ، فهي تشير في ذلك إلى الكثرة ، أو تقول : الكتب مكدّسة في غرفته فهي تشير أيضاً إلى الكثرة دون ترتيب .

ثم جاوزت العامّة هذه المعاني الكثيرة إلى معنى خاص يراد به الجمع والحرص فهي تقول : الذهب مكدّس في صندوقه ، ففي كل هذه المعاني لا تباعد بين الصورة العامة والصورة الفصيحة .

وقريب من هذه المادّة فعل : كردس ، ففي اللغة : كردس الخيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جعلها كتيبة كتيبة ، وكردس بالضم جمعت يداه ، فالعامّة تستعمل هذه المادّة للدلالة على الجمع دون ترتيب ، وأظن أن الذين يكردسون الخيل فيجعلونها كتيبة كتيبة إنما يرتّبون هذا الجمع ، أمّا العامّة إذا قالت : إنهم يكردسون البضائع في مخازنهم ، فإنها تريد بذلك جمع البضائع دون شيء من التنسيق ، وعلى كل حال إذا قلنا : كردس فلان بالضم أي جمعت يداه فلا نبعد عن معنى الجمع في استعمال الكردسة ، فالعامّة لا تبعد في ذلك كثيراً من اللغة الفصحى .

وإنّا لنكتفي بالذي ذكرناه تفادياً من التطويل .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net